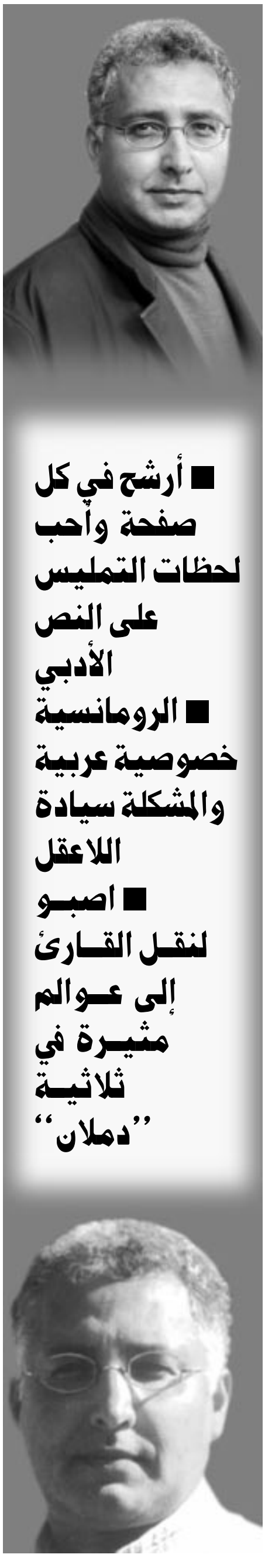

التقليدية معتقدين أن كل شيء يمكن أن يضيع في لحظة بفعل فيروس أو طارئ فني..إلى أي مـدى يمكن أن يكون هذا التخوف منطقياً وصحيحاً؟!

- أخاف أن الحديث عن «الحكومة الالكترونية» يشبه كثيراً ذر الرماد على العيون،لاسيما أن اليمن من أكثر الدول تأخراً في مجال استخدام الانترنت ،شخصياً أجهل كليّة مبررات هذه المخاوف،التي لعلها قبل كل شيء مخاوف من «عدم ضياع المعلومات» لا من أن تضيع بالفعل.

***مجدداً يرى البعض أن الانترنت كان ثورة للتجسس أكثر منه ثورة في المعلومات ويستغل في الصراعات والحروب أكثر من كونه يخدم المعرفة،وعلى المستوى المحلي فاستغلاله بشكل لاأخلاقي جعل البعض ينادون بنوع من الرقابة عليه..كيف تعلق على ذلك؟**

- الـ«انترنت» قبل كل شيء هو أكبر وأحدث مكتبة كونية للمعرفة وفيه كتب وأبحاث ودروس علمية وثقافية تفوق بما لاحد له الموجود خارجه.

أهم مافي الأمر والجديد فيه هو أن تلك الدروس والبرمجيات والمراجع يمكن انزالها بنفس الطريقة من قبل الطالب في نيويورك،باريس أو في طور الباحة،هذا مكسب ديمقراطي في غاية الأهمية..غير أن أبرز المفارقات التي تؤرقني دوماً هي أن الطالب في المدينتين الأوليتين شأن كل طلاب الدول المتقدمة يقضي ساعات يومية لشحن كل جديد في العلوم لكمبيوتره،وهو الذي تقدم له المدارس والجامعات أحدث نتاجات العلم والمعرفة ومع ذلك يستخدم«انترنت» في دراسة كل مادة،في عمل كل مشروع ،في كل صغيرة وكبيرة من حياته.

وفي الوقت الذي يلزم على طالب «طور الباحة» أو صنعاء ،تعز أو عدن..أن يستخدم انترنت اضعاف الطالب الأول لردم الهوّة المرعبة التي تفصله عن العلم،هاهو محروم كلية منه إلى يومنا هذا حتى في الجامعة «ومع ذلك نتحدث عن الدولة الالكترونية» أما الحديث عن رقابة على انترنت في ظل ذلك فهو أقصى مايمكن أن تنتجه «عبقرية الجهل والتعتيم».

بالنسبة لقضايا الاستخدام اللاأخلاقي أو العدواني لإنترنت فهي مسألة تربية وحماية لا أكثر ولا أقل.

***هناك حفاوة نسبية بالمواهب الأدبية في الأوساط العربية رسمية وشعبية،يقابلها تجاهل ممنهج للمواهب العلمية ليس هناك متنفس تظهر من خلاله هذه المواهب بينما تزخر الساحة بالشعراء والكتاب والروائيين..ألا ترون أن هناك خللاً ما..ألسنا في حاجة ماسة لعقول مبتكرة منتجة؟!**

- ثمة كثير من الحقيقة في ذلك قد يكون أحد الأسباب غياب العقل الذي تحدثنا عنه سابقاً،وقد يكون السبب الأهم هو الغياب العلمي العربي لضعف التعليم العربي وغياب المشاريع البحثية العلمية في العالم العربي .إذا استعدت استعارة «القمر» التي استخدمتها في سؤال سابق فسأقول إنه من السهل اعطاء جائزة لأجمل قصيدة عربية تصف القمر،لكن من الصعب تنظيم مسابقة لاختيار اجمل سفينة فضائية عربية هبطت على سطح القمر.

ثلاثية العوالم المثيرة

***يعتقد الكثيرون من العرب أن الغرب يقف في وجه أي محاولة عربية للنهوض..إلى أي حد هم محقون؟..ماهي صورة العربي لدى الغرب.. وكيف يمكن تغيير هذه الصورة وتحقيق النهوض العربي المنشود؟**

- بعيداً عن العقلية التآمرية،أعتقد أن النهوض العربي يقع بيد العرب أولاً وأخيراً.أما عن كيف يمكن تحقيقه فهذا سؤال عريض يفوق طاقاتي،لعل تغيير التعليم الذي تحدثنا حوله في موضع سابق،وتغيير الأنظمة القمعية والمتخلفة التي تسحق الإنسان العربي يومياً،هي شروط ضرورية لتلك النهضة،يظل تحقيقها بيد الإنسان العربي أولاً وأخيراً وحول صورة العربي لدى الغرب لاتوجد صورة واحدة،تتراوح الصورة بين الاعجاب الشديد واللااعجاب الشديد،يزداد اللااعجاب الشديد هذه الآونة عندما تقترن صورة العربي على سبيل المثال بالتطرف في الجزائر الذي يذبح الشيوخ والأطفال ويبقر بطون الحوامل،أو عند رؤية العربي مصمماً أن يظل خارج حركة العلم والديمقراطية والتطور.

***ماالذي تصبو إلى تحقيقه من وراء مشروعك الأدبي وهل يمكن تسميته بالمشروع؟!بمعني آخر هل تقع الكتابة في صميم حياتك العملية أم أنها محطة استجمام على هامشها؟!**

- ماأصبوا إليه من الكتابة الأدبية هو أكبر من قضاء لحظات استجمام،أتمني أن يكون مشروعاً يحاول التفاعل الحر العميق الدائم والقوي مع القارئ.

***إن صدق الظن ..أنت تقوم حالياً بـ«التمليس» على نص أدبي جديد؟**

- المشروع الذي أموت حباً فيه حالياً هو رواية «دملان»،هو عبارة عن ثلاثية روائية تدور في ثلاثة عوالم مختلفة.

صدر جزءها الأول في كتاب قبل أشهر وأخذ موقعه في المكتبات وأشكر «الثقافية» كثيراً على نشرها له - قبل صدوره ككتاب - بإخراج مهني لائق ،جزء الثلاثية الثاني سيظهر قريباً وفي «الثقافية» كما أتمنى وسيلحقه الجزء الأخير،في صيغته النهائية سيكون بالعربية والفرنسية أيضاً،مسارحه مدن يمنية وفرنسية كثيرة أتمنى أن ينقل القارئ إلى عوالم مختلفة مزدحمة مثيرة تملأ حقبة تاريخية تمتد من بداية السبعينيات وحتى الآن.

***هنا..نشعر بالاعتزاز لكونك يمنياً..فماالذي تعتز به كيمني هناك في فرنسا؟**

- أعتز بالانتماء لشعب في غاية الطيبة أعتز بصداقات حميمية وقوية جداً وقديمة جداً - في الغالب - مع عدد كبير من بشر هذا الشعب.مالاأعتز به هو زيادة الفقر والتخلف في اليمن في السنوات الأخيرة.

■ أرشح في كل صفحة وأحب لحظات التمليس على النص الأدبي

■ الرومانسية خصوصية عربية والمشكلة سيادة اللاعقل

■ اصبو لنقل القارئ إلى عوالم مثيرة في ثلاثية "دملان"

دَملان

سيرة ذاتية..لتفاصيل متداخلة

أن تقرأ لروائي ..كحبيب عبدالرب سروري،فإنك تقرأ تفاصيل الممارسات اليومية المنتقاة بإتقان،وترغمك الدهشة أن تتوقف وتدرك بأنك أقرب إلى الأزمنة من الأمكنة.

ورواية «كدملان» أجد أنه من غير المنصف أن تختزل كهذا الاستعراض السريع لفصل واحد بمقطعين لذاكرتي«الأناوالمكان» فلذلك يصعب على متمكن فضلاً عن قارئ أن يعبر بهدوء فوق تفاصيل سيرة مكثفة لسرد معقد، والعبور الخاطف لمتن غني يُعد بمثابة تصفح بسيط لسطح النص لالعمقه،إن لم يكن مخاطرة تفقد العمل الروائي روعته ومحتواه.

وروائي كحبيب سروري يصعب أن تختزل وبسرعة ذاك النسج الهائل من التفاصيل الدقيقة لأشياء يعجز عن مزاوجتها روائي غيره،انه روائي المتن المكثف،والتوظيف الجاد للمسميات «الأنا /الآخر/المدينة/الوطن/ الغربة/الأيديولوجيا/العسكر/العاطفة» ومسميات عدة تجمع مابين السكر والملح،أقراها أنا من حقي كقارئ محاول للفهم.

وعندما تطل لذلك «الحبيب» في «عاشق الملاح» وعبوراً «بالملكة المغدورة» تُطل حينها تلك التفاصيل الشيقة..والتقنيات المتجاوزة والصور والمجاز لتتشكل وبحضور جدلي وبتناصف حاد،لتتكون في مايشبه السيرة الذاتية لتفاصيل يحملها الراوي وبطل الرواية في آن واحد،وتتجمع بتكثيف حار وباختزال متضخم في عمله الأخير رواية «دملان» إنها رواية السيرة الذاتية يتناصف فيها الراوي بطل الرواية مع مدينة تمتلك ذاكرة الكترونية،إنها العالم المسكون بالتوقف /بالتاريخ/بالذاكرة/بالعاطفة/بالرفض وبكائنات يصعب تسميتها.أن تقرأ رواية «دملان» فإنها تفقدك الرغبة في التوقف دون الانتهاء من البحث عن التفاصيل،كما تجد القدرة التي أوجدها الكاتب في خلق الممارسات وزركشتها بمسميات أزعم أنها تحسب له.

محمد عبدالله الحكيمي

و«دملان» هي المملكة التي تُوجد «وجدان» شخصية الراوي في المتن أو يوجدها،انها المكان الذي يحمل الخطيئة التي يحملها التاريخ في ثناياه.كما يحمل «وجدان» المولع بشغف باستاذه «نجيب» وباستعراض خاطف للجزء الأول من الرواية والمعنون «وجدان»تجد فيه حالة من التساؤلات تخلقها ذاكرة «وجدان» الذي كان يمكن أن يكون «محمود» لولا أن أمه اعترضت تسميته وأرادته «وجدان» فتجد ذائقة الرافض منذ الطفولة لأشياء حتمية نعجز حتى عن إثارتها..كأسمائنا..فيتساءل رافضاً ومستغرباً لرغبة أمه فنراه يقول في الجزء الأول صفحة٧/سطره.

«لكنها لم تدرك يوماً أنني لأسباب عدة هي دون شك أحدها،لا أحمل بشكل جيد فذاك الاسم،لست أبداً اسماً على مسمى ،لااستحق ذلك الاسم اطلاقاً لست أكثر من وجدان تحجرت خلاياه،وجدان من كراتين،وجدان لم تذق شرايينه لذة الحب يوماً..ولم تضخ دماؤها على ايقاع هدير الوجد والعشق الذي يشرخ الضلع»

وبمرور تساؤلات لازالت تنخر في ذاكرة «وجدان» الذي تصلبه الأسئلة،وحالات من الاضطراب والصراخات الداخلية التي يبوح بها بينه وبينه فنراه يقول:

- «إلهي لماذا يحتلني هذا الاسم ويفجر مخيلتي ليل نهار؟لماذا يجتاحني هذا الجسد المتدفق ولايفارق لاوعيي لحظة واحدة؟لماذا تعود لي نفس تلك القسمات الحبشية الفاتنة.

نفس ذلك الجمال الكريم.نفس تلك العينين الكبيرتين اللامعتين المبتسمتين دوماً.

نفس ذلك الثغر الوردي الكثيف الجذاب،نفس تلك السمرة النحاسية المميزة ذات الصفاء.

نفس تلك الأسنان اللبنية المنتظمة نفس ذلك الأنف الفخور بديع الدقة «إلى أن يصل بعد هذا التكثيف» إلى نفس تلك الطفولة الأبدية التي لاتعرف الحدود والموانع والزيف والكذب والنفاق.

لكن رغم كل حالات العزلة،والمدة الزمنية التي مرّ بها«وجدان» ودامت ٨سنوات محشوراً كما يصف نفسه في علبة «صردين» إلا أنه رأى أن هناك شخصاً يستحق أن ينصف،لاسيما وقد دونها الروائي حبيب سروري في أكثر من عمل إنها ذاكرة «الأم»/«العطاء والوطن» الحاضرة بقوة في مخيلة الراوي وكاتب الرواية معاً،والأم هنا حضور حقيقي لمفارقة جادة تكتب بذاكرتي الوعي واللاوعي،تشترك بها ذاكرة «حبيب » وذاكرة «وجدان» فنراه يقول في صفحة ٦فصل «١»:

«لم أر منذ ٨سنين انساناً غير تلك الوالدة الحنونة وتجاعيدها المتزايدة لعلي لم أفلح طوال هذه السنين إلا في تنكيد وتدمير حياتها،أو ما تبقى منها ،فتقول لي دائماً أنني ضربت رقماً قياسياً في «البلطجة» لا أظن أنها مخطئة،بل أشعر بالفخر إلى حد ما على الأقل هاأنذا قد ضربت رقماً قياسياً في شيء ما».

وفي نفس ذاك الحضور للذاكرة المنصفة نراه يقول:

-«سنوات من «البلطجة» أمام أمي المسكينة التي تقضي يومها منهمكة في صناعة البخور العدني،تخلطه وتطبخه وتعطره بعشق ومهارة.حسب صيغ كيميائية ورثتها عن أمها وأم أمها،يضمن لها دخلاً ثابتاً وعملاء ميسورين.ويضمن لي «قاتاً» يومياً رخيصاً ألوكه لوحدي ومنومات رخيصة تقربني يومياً أكثر فأكثر من عمق أعماقي الهلوسة والجنون».

ونجد بعد كل هذا النسج من الملامح الطفولية أن «لعدن» ذاكرة مقيمة في الرواية،دهشة تظل في المتن،تنخر في دبيب راوي الحديث..الذي يستحضر تفاصيل عدن..بطقوسها المربكة..كالبخور..مجزرة ١٣يناير..زرائب السيلة..وتفاصيل أخرى عديدة لاتسعفني اللحظة لاستدراكها.

إن «دملان» كما أقرأها مزيج من الاشواق والغربة..والحب والكره..زمنٌ تتقاطع فيه كائنات مختلفة..كوجدان وسوسن والاستاذ نجيب والحياةالعسكرية .

وامكنة كتنكا وعدن وغيرها،تسكن فيها نفس النكتة ولذة العاطفة..ورغبة شديدة في الانتصال..إضافة إلى مفردات ومسميات تحسب للراوي كاستخداماته الشائعة لـ«البلطجة» و«الصردنة» و«الطعفرة» وغيرها واشتغالاته المكثفة حولها ترغمك بأن تُسلم أن مسميات ليست بالقليلة تظل ملتصقة بالرواية.

أخيراً..أقول من خلال محاولتي البسيطة للقراءة..أن رواية «دملان» بأجزائها الخمسة أو فصولها الخمسة تعد الجزء الأول من رواية ينتظر أن يصدر جزءها الثاني المعنون «سانت مالو»،ولربما تكون جزءاً ثانياً ثان من جزء أول لم يكتب بعد،لربما يدهشنا الراوي بالعودة إلى تفاصيل ماقبل «دملان» كنمطية الكتابة من «النهاية إلى البداية» ثم العكس.

*١٧ ابريل ٢٠٠٣م

*قدمت هذه القراءة في فعالية حول تجربة البروفيسور حبيب عبدالرب سروري أثناء حضوره في مؤسسة السعيد بتعز يوم الخميس ١٧/ابريل ٢٠٠٣م.